أهمية السند ودوره في الأخبار المقدسة عند المسلمين وأهل الكتاب

أ. عبد القادر بن حمو
جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية
قسنطينة - الجزائر

ملخص البحث باللغة الانجليزية

The Hadith taking space quite a bit in Islamic studies, and from different aspects, the most important of which, authoring in transportation and codification and attributed to the Prophet, peace be upon him or not, it is imperative that we are exposed to the most important rules of scientists who spoke about the practical approach is unique in criticism and scrutiny of all the news, whether companions or followers, as well as talk show Aalhadi Secretary, it was imperative that we leave to the first generation of Ncetknh value of the bond when modernists, because they imams this regard undisputed because they are dedicated their lives to serve the Hadith private, and other Other news in general.

I have God sent to this task, men who do not understand trade and do not sell for y cr God, Fbaawa dear and precious in order to save the Sunnah of our Prophet, peace be upon him, Fajhithm and screened and their trips to collect the year and their search for the conditions of men and other fuss, not appreciated Only try this science-Sharif, and stood on their experience and their conditions in Zanhm and stay, because the basis of keeping the year is the support of modern, which is a series of narrators convey talk in pursuit for Sabgahm until it reaches us, and you need to know the relevance of talk of whether or not the patience of the depths narrators preserved and understanding and justice and restraint and contemporary is dating him scholars of the art of the laws of the novel, and this in order to reach us talk a net cleansed of intrigues and corruption, Anwar says the soldier, "but those familiar with the Quran and Sunnah finds that for the year the greatest impact In the vastness of Islamic law and his greatness and immortality, this legislation, which dazzle the eyes of the great scholars of law in all parts of the world, is

what holds the load and the enemies of Islam in the past and the present to attack Sunnis and questioning the validity of her novel and the flags of the Companions" .

تمهيد:

إن الحديثُ النّبويُّ أَخذَ حيِّزاً لا بأسَ به في دراسَاتِ الإسلامية، ومنْ جوانبَ مختلفةٍ، كانت أهمُّها، التَّأليف في نقله وتدوينه ونسبته إلى الرسول صلى الله عليه وسلم من عدمها، لا بد أن نتعرض لأهم قواعد العلماء الذين تكلموا عن المنهج العملى الفريد في نقد وتمحيص كل الأخبار، سواء عن الصحابة أو التابعين، فضلا عن أحاديث نبين االهادي الأمين، فكان لزاما أن نشد الرحال إلى الرعيل الأوّل لنستكنه قيمة السند عند المحدثين، لأنّهم أئمة هذا الشأن بلا منازع لأنّهم هم من كرّسوا حياتهم لخدمة الحديث النبوي خاصّة، وسائر الأخبار الأخرى عامة.

لقد قّيض الله لهذه المهمَّة رجالا لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، فباعوا الغالي والنفيس في سبيل حفظ سنة نبينا صلىالله عليه وسلم، فخشيتهم وتحريهم ورحلاتهم لجمع السنة وبحثهم عن أحوال الرجال وغيره من العناء، لا يقدره إلا من جرب هذا العلم الشريف، ووقف على حالهم وأحوالهم في ظعنهم وإقامتهم، لأن أساس حفظ السنة هو سند الحديث، والذي هو عبارة عن سلسلة من الرواة ينقل الحديث لاحقهم عن سابقهم حتى يصل إلينا، وتحتاج معرفة وثاقة الحديث من عدمها إلى صبر أغوار رواته حفظا وفهما وعدالة وضبطا ومعاصرة على ما تعارف عليه علماء هذا الفن من قوانين الرواية، وهذا كي يصل إلينا الحديث صافيا نقيا من الدّسِ والتحريف، يقول أنور الجندي: "وإنّ من يطلع على القرآن والسنة يجدأن للسنة الأثر الأكبر في اتساع التشريع الإسلامي وعظمته وخلوده، هذا التشريع العظيم الذي بهر أنظار علماء القانون في جميع أنحاء العالم، هو ما حمل ويحمل أعداء الإسلام في الماضي والحاضر على مهاجمة السنة والتشكيك في صحتها وروايتها من أعلام الصحابة "[1]

أولا تعريف السنـد:

السند ما ارتفع من الأرض في قِبل الواديوالجمع أسناد، وكل شيء أسندت إليه شيئا فهو مُسند، وساندت الرجل مساندة إذا عاضدته وكاتفته، وفلان سَند أي معتمد، والمسنَد من

الحديث ما اتصل إسناده حتى وصل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، والإسناد في الحديث رفعه إلى قائله[2].

و السند سلسلة رواة الحديث الذين ينقلونه واحدا إلى الآخر إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وتستعمل كلمة الطريق أوالوجه أو الإسناد بنفس المعنى[3] .

والحديث يتألف من شطرين، الشطر الأول عبارة عن أسماء الرواة الذين نقلوا المتن أحدهم عن الآخر، ويسمى هذا الشطر الإسناد أو السند، أي البرهان على صحة الرواية، فمن يروي الحديث يقول سمعت فلانا أو حدثني فلان عن فلان، وهكذا يبدأ الإسناد بالمحدث ثم يذكر سلسلة السند إلى أن يرفع الحديث إلى مصدره الأول[4] والشطر الثاني هو المتن أي الكلام الذي يسوقه المسنِد سواء كان مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أو موقوفا على الصحابي أو مقطوعا عن تابعي من التابعين أو تابعيهم.

ثانيا أقوال العلماء المسلمين في أهمية الإسناد للأخبار المقدسة:

للإسناد مكانته وأهميته في الإسلام، إذ الأصل في ذلك تلقي الأمة لأخبار الدين عن الصحابة رضوان الله عليهم، وهم تلقوه عن رسول رب العالمين محمد صلى الله عليه وسلم، وهو تلقاه عن رب العزة جل جلاله بواسطة وبدون واسطة، كذلك ما صح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " تَسمعون ويُسمع منكم ويُسمع ممن سَمع منكم"[5]، وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث أربع طبقات في رواة الحديث –أي السند– وهذه الخامسة التي نحن فيها[6] .

و روى مسلم عن محمد بن سيرين قال: " الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء "[7]، وذلك لأن الإسناد وسيلة لتمييز الأحاديث الصحيحة والضعيفة مما يترتب عليه معرفة أحكام أو تعاليم الدين، وأخرج مسلم بإسناده إلى الإمام عبد الله بن المبارك أنه قال: " بيننا وبينهم القوائم " يعني الإسناد[8]، وأخرج بن حبان عن سفيان الثوري قال: " الإسناد

سلاح المؤمن إذا لم يكن معه سلاح فبأي شيء يقاتل " وبإسناده إلى شعبة قال: "كل حديث ليس فيه حدثنا وأخبرنا فهو مثل الرجل بالفلاة معه البعير ليس به خطام "[9].

و كان العلماء – رحمهم الله – يتحرّون في قبول الأخبار، قال بن حبان رحمه الله: " ولسنا نجيز أن نحتج بخبر لايصح من جهة النقل في شيء من كتبنا، لأن فيما يصح من الأخبار بحمد الله ومنّه يغني عن الاحتجاج في الدين بما لا يصح منها، ولو لم يكن الإسناد وطلب هذه الطائفة له لظهر في هذه الأمة من تبديل الدين ما ظهر في سائر الأمم "[10]، ثم قال حدثنا محمد بن السبت بن إسحاق قالحدثنا عبد الله بن سعد الكندي قال حدثنا إدريس قال ربما حدث الأعمش بالحديث ثم يقول بقي رأس المال" حدثني فلان قال حدثنا فلان عن فلان "[11].

و قال أبو حاتم الرازي: " فلما لم نجد سبيلا إلى معرفة شيء من معاني كتاب الله إلا من سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا من جهة النقل والرواية، وجب أن نميز بين عدول الناقلة والرواة وثقاتهم وأهل الحفظ والثبت والإتقان منهم، وبين أهل الغفلة والوهم وسوء الحفظ والكذب ...، ولما كان الدين هو الذي جاءنا عن الله –عزّ وجلّ– وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنقل الرواة، حق علينا معرفتهم، ووجب الفحص عن الناقلة والبحث عن أحوالهم وإثبات الذين عرفناهم بشرائط العدالة والتثبت في الرواية مما يقتضيه حكم العدالة في نقل الحديث وروايته، بأن يكونوا أمناء في أنفسهم علماء بدينهم، أهل ورع وتقوى وحفظ للحديث وإتقان به وتثبت فيه وأن يكونوا أهل تمييز وتحصيل لا يشوبهم كثير من الغفلات، ولاتغلب عليهم الأوهام فيما قد حفظوه ووعوه ولا يشتبه عليهم بالأغلوطات[12] .

وروى الخطيب البغدادي بإسناده إلى أبي العباس محمد بن عبد الرحمن الدغولي قال سمعت محمد بن حاتم بن المظفر يقول: " ... فليس أحد من أهل الحديث يحابي في الحديث أباه ولا أخاه ولا ولده، وهذا علي بن المديني وهو إمام عصره في الحديث لا يُروى عنه حرف واحد في تقوية أبيه بل يروى ضد ذلك، فالحمد لله على ما وفقنا " [13] .

و من هذا الذي ذكرناه يظهر تحري العلماء في الإسناد لمعرفة رجاله فردا فردا، ومعرفة حالهم وأحوالهم وثقتهم من عدمها، وكان أول من احتاط في قبول الأخبار المقدسةأبو بكر

الصديق رضي الله عنه، قال الذهبي فقد روى ابن شهاب عن قبيصة بن ذؤيب أن الجدة جاءت إلى أبي بكر الصديق تلتمس أن تورّث فقال: " ما أجد في كتاب الله شيئا وما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر لك شيئا، ثم سأل الناس، فقام المغيرة فقال: حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيها السدس، فقال له: هل معك أحد؟ فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك، فأنفذه لها أبو بكر"[14]

ونقل أيضا في ترجمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه هو الذي سن للمحدثين التثبت في النقل، وربما كان يتوقف في خبر الواحد إذا ارتاب، فروى جرير عن أبي سعيد الخدري قال: كنت في مجلس من مجالس الأنصار إذ جاء أبو موسى كأنه مذعور فقال: استأذنت على عمر ثلاثا فلم يؤذن لي فرجعت، فقال ما منعك؟ قلت: استأذنت فلم يؤذن لي فرجعت، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع " فقال: لتقيمن عليه ببينة، أمنكم أحد سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم؟ فقال أبي بن كعب: والله لايقومن معك إلا أصغر القوم، فكنت أصغر القوم فقمت معه فأخبرت عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك "[15] .

و قد تبع عمر على ذلك كثير من الصحابة رضي الله عنهم، ومن التفتيش والبحث عن هذا الشأن ما ساقه ابن حبان قال: " ذُكر عن عبد الله بن قحطبة بفم الصلح*، قال حدثنا أحمد بن زكريا الواسطي قال سمعت أبا الحارث الوراق يقول جلسنا على باب شعبة نتذاكرالسنة، فقلت حدثنا إسرائيل عن عبد الله بن عطاء عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من توضأ فأحسن الوضوء دخل من أي أبواب الجنة شاء " فخرج شعبة وأنا أحدث بهذا الحديث فصفعني ثم قال: يا مجنون سمعتَ عبد الله بن عطاء يحدث عن عقبة بن عامر؟ قال: سمعتَعبد الله بن عطاء؟ قلت: عبد الله سمع من عقبة بن عامر؟ فقال أسكت، فقلت لا أسكت، فالتفتُ إلى مسعر بن كدام فقال: يا شعبة، عبد الله بن عطاء حي بمكة، فخرجت إلى مكة ولقيت عبد الله بن عطاء، فقلت حديث الوضوء، فقال: عقبة بن عامر؟ فقلت: يرحمك الله سمعت منه؟ فقال: لا، حدثني سعد بن إبراهيم، فمضيت، فلقيت سعد بن إبراهيم، فقلت

حديث الوضوء، فقال من عندكم خرج، حدثني زكريابن مخراق، فانحدرت إلى البصرة فلقيته وأنا أشحب اللون وسخ الثياب كثير الشعر، فقال: من أين؟ فحدثته الحديث، فقال: ليس هو من حاجتك، قلت: فما له؟ قال: حتى تذهب فتدخل الحمام وتغسل ثيابك ثم تجيء فأحدثك به، قال: فدخلت الحمام وغسلت ثيابي ثم أتيته فقال: حدثني شهر بن حوشب، عمن، قال عن أبي ريحانة قال قلت هذا الحديث صعد ثم نزل، دمروا عليه ليس له أصل[16].

قال أبو عبد الله الحاكم: " فلولا الإسناد وطلب هذه الطائفة له وكثرةمواظبتهم على حفظه، لدرس الإسلام ولتمكن أهل البدع والإلحاد منه بوضع الأحاديث وقلب الأسانيد، فإن الأخبار إذا تعرت عن وجود الإسناد كانت بترا"، ثم ذكر بإسناده إلى عتبة بن أبي حكيم أنه كان عند إسحاق بن أبي فروة وعنده الزهري، قال فجعل ابن أبي فروة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له الزهري: قاتلك الله يا ابن أبي فروة، ما أجرأك على الله، ألا تسند حديثك، تحدثنا بأحاديث ليس لها خطم ولا أزمة "[17]

و هذا الذي ذكرناه ما هو إلا غيض من فيض وقليل من كثير من جهاد علماء الإسلام من أجل حفظ الأخبار المقدسة للدين الإسلامي، وذلك بالتحري في الإسناد، وهذه منّة منّ الله بها على المسلمين وهي خاصة بهم ومزية لهم من بين سائر الأمم.

ثالثا بيان أن العناية بالأخبار المقدسة من خصائص الأمة الإسلامية:

و قد بين كثير من أهل العلم أن الإسناد مما حفظ الله به السنة، وهو كما قال أهل العلم من خصائص هذه الأمة[18].

قال ابن حبان: " ولو لم يكن الإسناد وطلب هذه الطائفة له لظهر في هذه الأمة من تبديل الدين ما ظهر في سائر الأمم، وذلك أنه لم تكن أمة قط حفظت الدين عن التبديل ما حفظت هذه الأمة حتى لايتهيأ أن يزاد في سنة من سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم أَلِفٌ ولا واو، كما لا يتهيأ زيادة مثله في القرآن، فحفظت هذه الطائفة السنن على المسلمين وكثرت عنايتهم بأمر الدين ولولاهم لقال من شاء ما شاء "[19].

و أخرج الخطيب بسنده إلى أبي بكر محمد بن أحمد (ت331هـ) قال: " بلغني أن الله خص هذه الأمة بثلاثة أشياء لم يعطها من قبلها من الأمم: الإسناد والأنساب والإعراب "[20]، ومثل هذا نقل عن السيوطي قال: " قال أبو علي الحسين بن محمد الجياني الغساني (ت498هـ) خص الله هذه الأمة بثلاثة أشياء لم يعطها قبلها، الإسناد والأنساب والإعراب"[21].

وقال ابن حزم: " نقل الثقة عن الثقة يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم مع الاتصال، نقل خص الله به المسلمين دون سائر الملل كلها "[22].

قال الخطيب البغدادي(ت463هـ) قال أبو حاتم الرازي (ت277هـ): " لم يكن في أمة من الأمم منذ خلق الله آدم أمناء يحفظون آثار الرسل إلا في هذه الأمة، فقال له رجل: يا أبا حاتم ربما رووا حديثا لا أصل له ولا يصح، فقال: علماؤهم يعرفون الصحيح والسقيم فروايتهم ذلك للمعرفة، ليتبين لمن بعدهم أنهم ميزوا الآثار وحفظوها ثم قال: رحم الله أبا زرعة كان والله مجتهدا في حفظ آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم "[23] .

وروى أيضا بإسناده إلى أبي العباس محمد بن عبد الرحمن الدغولي قال: " سمعت محمد بن حاتم بن المظفر يقول: إن الله أكرم هذه الأمة وشرفها وفضلها بالإسناد، وليس لأحد من الأمم قديمهم وحديثهم إسناد...، وهذه الأمة إنما تنص الحديث عن الثقة المعروف في زمانه المشهور بالصدق والأمانة عن مثله حتى تتناهى أخبارهم، ثم يبحثون أشد البحث حتى يعرفون الأحفظفالأحفظ والأضبط فالأضبط والأطول مجالسة لمن فوقه ممن كان أقل مجالسة، ثم يكتبون الحديث من عشرين وجها وأكثر حتى يهذب من الغلط والزلل، ويضبطون حروفه ويعدوه عدا، فهذا من أعظم نعم الله على هذه الأمة، نستودع الله شكرها ونسأله التثبيت والتوفيق لما يقرب منه ويزلف لديه ويمسّكنا بطاعته إنه ولي حميد"[24].

و قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " وخصهم بالرواية والإسناد.....وجعل هذا الميراث يحمله من كل خلف عدوله أهل العلم والدين "[25]، وقال أيضا: " وعلم الإسناد والرّواية مما خص الله به أمّة محمد صلى الله عليه وسلم وجعله سُلَّما إلى الدِّراية، فأهل الكتاب لا إسناد لهم يأثرون به المنقولات، وهكذا المبتدعون من هذه الأمة أهل الضلالات، وإنّما الإسناد لمن أعظم مِنَنِ الله

على أهل الإسلام والسنة، يفرقون به بين الصحيح والسقيم والمعوج والقويم، وغيرهم من أهل البدع والكفار إنما عندهم منقولات تأثروا بها بغير إسناد وعليها من دينهم الاعتماد، وهم لا يعرفون فيها الحق من الباطل ولا الحالي من العاطل "[26]

وفي هذا الذي نقلناه كفاية في أن الإسناد من خصائص الأمة المحمدية، أكرمها الله به وشرّفها فأخذته مأخذ الجِدِّ وقامت به خير قيام، ويشهد لها ما بقي إلى الآن مُسطَّرا في بُطون الكتب التي ألفوها في هذا الفنِّ.

رابعا الإسناد عند أهل الكتاب:

لقد ذكرنا في المبحث السابق أن الإسناد من خصائص أمة محمد صلى الله عليه وسلم، ولاشك أن هذا فيه إشارة إلى أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى لم يهتموا بهذا العلم ولم يعطوه حقه، قال البقاعي، نقل محدث المغرب عبد الحي الكتاني عن كتاب سراج المريدين للقاضي أبي بكر بن العربي المالكي قوله: " والله أكرم هذه الأمة بالإسناد لم يعطه أحد غيرها، فاحذروا أن تسلكوا مسلك اليهود والنصارى فتحدّثوا بغير إسناد فتكونوا سالبين نعمة الله عن أنفسكم مطرقين للتهمة إليكم خافضين لمنزلتكم، ومُشتَرِكين مع قوم لعنهم الله وغضب عليهم، وراكبين لسنّتهم"[27]، وقال ابن حزم: "نقل الثقة عن الثقة يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم مع الاتصال، نقل خص الله به المسلمين دون سائر الملل كلها...، وأما مع الإرسال[*] والإعضال[**]، فمن هذا النوع كثير من نقل اليهود بل هو أعلى ما عندهم، إلا أنهم لا يقربون فيه من موسى عليه السلام كقربنا فيه من النبي صلى الله عليه وسلم، وأما النصارى فليس عندهم من صفة هذا النقل إلا تحريم الطلاق وحده، على أن مخرجه من كذاب قد ثبت كذبه ثم قال: أما النقل بالطريق المشتملة على كذاب أو مجهول العين، فكثير في نقل اليهود النصارى "[28] .

و روى الخطيب عن محمد بن حاتم بن المظفر قوله: " وليس لأحد من الأمم قديمهم وحديثهم إسناد وإنما هي صحف في أيديهم وقد خلطوا بكتبهم أخبارهم، وليس عندهم تمييز بين ما نزل من التوراة والإنجيل مما جاءهم به أنبياؤهم، وتمييز بين ما ألحقوه بكتبهم من الأخبار التي أخذوها عن غير الثقات "[29] .

ونُقل عن ابن تيمية قوله: " فأهل الكتاب لا إسناد لهم يأثرون به المنقولات "[30]، وفي هذا الصدد يقول اليهودي" غولدزيهر" أنه يريد الآن إصلاح دين إبراهيم وإعادته إلى أصله بعد أن نال منه التغيير والإفساد وكان كثيره مختلطا ببعض التقاليد القديمة التي تتعلق بدين إبراهيم، فالشعائر التي أسسها قد سبق وأن وضع أسسها إبراهيم، لكنها حرفت في خلال الأزمان والأجيال واتجهت إلى الوثنية[31] .

و يقول رحمة الله الكيرانوي الهندي: " إن الكتاب السماوي السَّليم هو الكتاب الذي يكتب بواسطة نبي من الأنبياء ويصل إلينا بعد ذلك بالسند المتصل بلا تغيير ولا تبديل، أما أن ينسب الكتاب إلى شخص ذي إلهام بمجرد الظن والوهم فلا يكفي ذلك لإثبات أنه تصنيف الشخص المنسوب إليه، حتى لو ادعت تلك النسبة فرقة أو عدة فرق"[32]، لأن صحة السند إلى المصدر وسلامته هي الأصل الذي يُعتمد عليه في صحة المنقولات، فإذا قُدح في السند فلا سلامة للأصل .

كما نجد أن الأديان والشرائع السماوية قبل رسالة محمد صلى الله عليه وسلم قد وقعت ضحية للشائعات والكذب والتضليل، وضحية لعدم التثبت في قبول الأخبار التي تستند إلى الحس، بل وعدم التدقيق كذلك عند رواية تلك الأخبار وتناقلها مما أدى إلى ضياع معظم هذه الأديان وتحريفها والتباس الحق بالباطل في معظم ما يتصل بها من تشريعات وعقائد[33]، ولقد بُذلت جهودٌ كبيرة للوصول إلى أصلِ الدِّيانتين، اليهودية والنَّصرانية، وذلك بقراءة المخطوطات والرحلة في طلبها عساها تحصل على شيء ولكن دون فائدة[34]، وحكم صحة ما في هاذين الكتابين موكول للقرآن الكريم، فما صدقه القرآن فهو المقبول وما كذبه القرآن فهو المردود وما سكت عنه القرآن لا نصدقه ولا نكذبه[35] وهذ ا هو المنهج الإسلامي الصحيح في الحكم على مرويات أهل الكتاب، لأنّ القرآن مهيمنٌ على كل الكتب السَّماوية السابقة بل وناسخ لشرائعها جملة.

1ـ السند عند اليهـود:

لقد أجمع أهل الإسلام على أن التَّوراة الحقيقية هي ما نطق به موسى عليه السلام بوحي الله إليه[36]، ونقل أبو الحسن النّدوي قول المستشرق الفرنسي "موريس بوكاي": "إن العهد

الجديد يتكون من مجموعة من المؤلفات الأدبية أُنتجت على مدى تسعة قرون تقريبا، وهو يشكل مجموعة متنافرة جدا من النصوص عَدَّل البشر من عناصرها عبر السنين، وقد أضيفت لأجزاء أخرى كانت موجودة من قبل، بحيث أن التعرف على مصادر هذه النصوص اليوم عسير جدا في بعض الأحيان"[37]، فنجد أن تواتر التوراة منقطع بين سيدنا موسى عليه السلام ويوشيا بن آمون كاتب التوراة[38]، ويعتبر اليهود التوراة جزءً من العهد القديم وهي عبارة عن خمسة أسفار أنزلت على موسى عليه السلام وهي سفر التكوين أو بدء الخلق، وسفر الخروج، وسفر اللاوين، وسفر العدد، وأخيرا سفر التثنية[39] .

وهناك تلازم قوي بين كل ديانة وكتابها المقدس، فإذا ثبت بطلان الكتاب وتحريفه لزم من ذلك فساد الديانة التي تقوم عليه، وهناك أدلة على تحريف الكتاب المقدس عند اليهود، فالكتب الخمسة المذكورة أعلاه والتي تنسب إلى موسى عليه السلام فيها إثبات قاطع في أكثر من سبعمائة(700) جملة أن الله لم يوحيها، وحتى موسى لم يكن له مشاركة فيها، وما عليك إلا أن تفتح هذه الأسفار لترى ما يلي: " وقال الرب لموسى " (الخروج3/6)، " فقال موسى للرب " (العدد11/11)، فالضمير هنا هو ضمير الغائب كما هو واضح، مما يعني أن هذا كلام شخص ثالث يسجل أحداثا سمع عنها، كما ورد في سفر التثنية: " فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب " (سفر التثنية 34/5-7)، فهذا النص من أعظم الأدلة على تحريف الكتاب المقدس، لأنه لا يعقل أن موسى عليه السلام يكتب تفاصيل موته!![40]، كما أن هناك اختلاف في اللغة التي كتب بها كل من العهدين، فالعهد القديم دونت جميع أسفاره باللغة العبرية، ولا نستثني من ذلك إلا بعض الأجزاء اليسيرة ألفت من أول الأمر باللغة الآرامية[41] .

إن الأغلاط الكثيرة والاختلافات الموجودة بين أسفارها تنفي أن تكون التوراة الحالية هي التي جاء بها موسى عليه السلام، كما أن تأليف التوراة الحالية كان بعد وفاة موسى عليه السلام بأكثر من خمسمائة سنة[42]، أي منذ القرن التاسع إلى القرن الخامس قبل الميلاد وكان ذلك إثر الأسر البابلي الذي دفع الأحبار إلى محاولة جمع التوراة ويقال أن أول من جمعها هو يوشيا بن

آمون*عام تسع وستمائة قبل الميلاد (609ق م)، ويذكر آخرون أن الذي جمعها هو "عِزْرا" عام ستٍّ وثلاثين وأربعمائة قبل الميلاد[43]، وهذا دليل على انقطاع السند عند اليهود وأنهم يقولون بالظن والتخمين، كما أن كتاب يوشع بن نون الذي هو في المرتبة الثانية بعد التوراة لا يعلم يقينا من ألفه، فمن قائل أنه فتى موسى يوشع بن نون وآخرون يذكرون أنه لفِنحاص بن العازار بن هارون عليه السلام، وغيرهم يرجعونه إلى صمويل النبي عليه السلام، في حين يرى بعضهم أنه لأرميا النبي عليه السلام، وبين يوشع بن نون وأرميا عليه السلام أكثر من ثمانية قرون، وهذا الاختلاف الفاحش دليل كامل على انعدام الإسناد عندهم[44].

إذن فقد حرفت التوراة حيث أضيف إليها ما ليس منها، فانقسموا طوائف ولكل طائفة كتابها، فوجد تلمود أورشليم، وتلمود بابل، وغيرها والتلمود هو التوراة مع شرحها، وهذا الشرح وضعه بعض الأحبار الذين اعتبرت أقوالهم كأقوال الأنبياء بل تضارع قول موسى عليه الصلاة والسلام[45]، ولو رجعنا قليلا إلى الوراء نجد أن اليهود تعرضوا عبر تاريخهم الطويل إلى كثير من الاعتداءات والهزائم والتشريد مما أدى إلى فقدان معظم الوثائق التي تضمنت نصوص التوراة ومن ذلك الحروب بينهم وبين الرومان والبابليين، حيث نهب هيكلهم ودمرت مدينة أورشليم بأكملها عام سبعين قبل الميلاد، مم تسبب في ضياع التوراة فأعيدت كتابتها على روايات بعض الحاخامات الذين ادعوا إلمامهم بها كيوشيا بن آمون عام (609ق م)، وعزرا بين (444 و435ق م)، ونستنتج من هذه الأقوال أن نصوص التوراة التي جاء بها موسى عليه السلام قد ضاعت، ويدلنا على ذلك انقطاع سلسلة السند بين موسى عليه السلام ومؤلفي التوراة المعتبرة عند اليهود الآن[46]، وفي نهاية هذه الدراسة يبدوا واضحا أن الرأي السائد، المتمسك به في بلادنا عن نصوص الكتب المقدسة التي في حوزتنا اليوم لا يستقيم مع الواقع، ولما كانت الظروف التي سادت ميلاد كتابات كل التنزيلات الثلاثة قد اختلفت اختلافا شاسعا، فقد نجمت عن ذلك نتائج بالغة الأهمية فيما يتعلق بصحة النصوص وببعض جوانب مضامينها"[47]، لذا فإن الركون إلى صحة هذه الكتب المؤلفة بأيدي الأحبار لايطمئن إليها في حال من الأحوال لأننا رأينا كيفية جمعها، ونفس الشيء وقع مع النصارى.

2ـ السّند عند النصارى:

لقد أجمع أهل الإسلام أن الإنجيل الحقيقي هو ما نطق به عيسى عليه السلام بوحي الله تعالى إليه[48]، أما الإنجيل عند النصارى هو الأقوال والأمثال التي قالها عيسى عليه السلام لحواريه وأتباعه يضاف إليها الأحداث التي أحاطت بعيسى وحوارييه في ذلك الزمان، ويطلق النصارى اسم الإنجيل على أربعة كتب ينسبونها لأربعة مؤلفين، وهم مرقص، متى، لوقا ويوحنا، ويضاف إلى الإنجيل بعض الرسائل والأحداث التاريخية المهمة، ويعتقد النصارى أن مؤلفي الأناجيل والرسائل والأحداث معصومين من الخطأ، لأنهم مؤيدون بروح القدس، بل يذهبون أكثر من ذلك، أن باباوات الكنائس في عصرنا الحاضر مؤيدون بروح القدس أيضا، وبالتالي لهم الحق في تعديل الإنجيل وتغيير بعض نصوصه[49] .

و نقل رحمة الله الكيرانوي عن "هورن" أن الحالات التي وصلت إليهم بخصوص زمان تأليف الأناجيل من القدماء الأولين أنهم صدّقوا الروايات الواهية والقصص الكاذبة وكتبوها في كتبهم، والذين جاؤوا من بعدهم قبلوها تعظيما لهم ثم طال العهد عليها حتى تعذر تنقيحها، وعليه يتبين لكل عاقل لبيب أن أهل الكتاب لا يوجد عندهم سند متصل لكتاب من كتب العهد القديم ولا من كتب العهد الجديد، فلا مجال لأهل الكتاب أن يدعوا أن كتبهم مكتوبة بالوحي والإلهام لأن هذا الادعاء باطل قطعا[50].

و يبلغ عدد الذين كتبوا الكتاب المقدس أربعون(40) كاتبا، وهم من جميع طبقات البشر بينهم الراعي، والصياد، وجابي الضرائب، والقائد، والنبي، والسياسي، والملك...إلخ، واستغرقت مدة كتابتهم 1600 سنة، وكان جميع هؤلاء الكتاب من أمة اليهود ما عدا لوقا كاتب الإنجيل الذي دعي باسمه، إذ يظن أنه كان أميا من أنطاكية، وفي الكتاب جميع أنواع الكتابة من نثر وشعر وتاريخ وقصص وحكم وأدب وتعليم وإنذار وفلسفة وأمثال[51]

إن في نسبة الأناجيل إلى مؤلفيها شك كبير حيث لا يوجد دليل ثابت على وجود الأناجيل قبل القرن الثاني ميلادي وأول من ذكر هذه الأناجيل الأربعة "أريننوس" في سنة 209م، ثم جاء من بعده "كلمنساسكندريانوس" في سنة 216م[52].

وبالنسبة للحواريين يضيف رحمة الله الذين هم أصحاب عيسى عليه السلام والمخلصين له فنعتقد في حقهم الصلاح ولا نعتقد في حقهم النبوة، وأقوالهم عندنا كأقوال المجتهدين والصالحين محتملة للخطأ، وإن فقدان السند المتصل خلال القرنين الأول والثاني وفقدان الإنجيل الأصلي يرفع الأمان عن أقوال الحواريين[53]، وبما أن رهبان النصارى لم يهتموا بإنجيل عيسى عليه السلام، وزعموا أن أقوالهم تضاهي أقوال المسيح فإنهم انقسموا إلى فرق وطوائف عدة متصارعة فيما بينها، وبالتالي وجدت عدة أناجيل وبقي الأمر كذلك إلى أن عقد مؤتمر نيقية عام 325م، حيث تم اعتماد الأناجيل الأربعة المعروفة لدى النصارى اليوم وأحرقت البقية الباقية[54] .

إن تناقض متون الأناجيل والأخطاء الفاحشة فيها تدل على أن مؤلفي الأناجيل مشتتو الأفكار وموزعو الأهواء متنافرون مما يدل على أنهم لم يلتق بعضهم ببعض أو لم يعيشوا في عصر واحد[55] .

و قد طلب الشيخ رحمة الله الكيرانوي الهندي من النّصارى في مناظرته لهم بيان السند المتصل لأي كتاب من كتب العهدين، فاعتذروا بأن سبب فقدان السند المتصل هو وقوع المصائب والفتن على النصارى إلى مدة ثلاثمائة وثلاث عشرة سنة[56]، ولهذا يقول القس الدكتور"شارلس أندرسن"، في مقالة في دائرة المعارف البريطانية، يقول: " ينبغي أن يتنازل الإنسان عن محاولة وضع كتاب في سيرة المسيح، بكل صراحة، فإنه لا وجود للمادة العلمية التي تساعد على تحقيق هذا الغرض، والأيام التي توجد عنها بعض المعلومات لا يزيد عددها على خمسين يوما"[57].

من هذه النقول تظهرمكانة الإسناد عند اليهود والنصارى وأنهم أهملوه ولم يهتموا به، فخلطت كتبهم المنزلة بأقوال أنبيائهم وأقوال أحبارهم ورهبانهم، بل أصبحت أقوالهم مقدمة عليها كما هو الحال مع التُّلمود عند اليهود، ولم ولن يستطيعوا أن يفرقوا بين ذلك وأنَّى لهم، وهذه منقصة لهم وجزاءً بما كسبت أيديهم من الكذب والبهتان على الله –عزّ وجلّ – وبما حملته قلوبهم من بغض للحق والتعنت فيه ومخالفتهم لما أمروا به على ألسنة رسلهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولقد حاولت طوائف من هؤلاء اليهود والنصارى أن يلحقوا النقص

بالإسلام زاعمين أن القرآن والسنة النبوية قد تعرضا للنقص والتبديل والتحريف كما جرى للديانتين السابقتين، ولن يكون لهم ذلك وللمسلمين عبن تطرف والله أعلم .

الهوامش:

1- أنور الجندي، معلمة الإسلام، دار الصحوة، القاهر1991م، ص 15 .

2- نفس المرجع، ج3، ص2114 . وانظر:

- أحمد بن فارس، مصدر سابق، ج3، ص105 .

- أبو حاتم الرازي، مصدر سابق، ص161.

3- عبد الكريم اسماعيل الصباح، الحديث الصحيح ومنهج علماء المسلمين في التصحيح، ط1، مكتبة الرشد الرياض 1419هـ/ 1998م، ص16-17 . وانظر:

- محمد بن مطر الزهراني، علم الرجال نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع، ط1، دار الهجرة - السعودية، 1417هـ-/ 1996م، ص15.

4- دائرة المعارف الإسلامية، ج7، ص330-331 .

5- أحمد بن محمد بن حنبل، المسند، تحقيق أحمد محمد شاكر، ج4، مكتبة التراث الإسلامي القاهرة، ص340.

- سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داوود، مراجعة صالح عبد العزيز آل الشيخ، ط3، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، 1421هـ، ص1494 .

6- أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، شرف أصحاب الحديث، حققه وخرج أحاديثه وآثاره عمرو عبد المنعم سليم، ط1، مكتبة ابن تيمية القاهرة، 1417هـ/1996م، ص 37.

7- محيى الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، خرج أحاديثه صلاح عويضة راجعه لغويا محمد شحاته، ج1، دار المنار القاهرة، 1423هـ/2003م، ص15.

8- صحيح مسلم، المصدر السابق، ج1، ص15 .

9- محمد بن حبان، المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، تحقيق محمود إبراهيم زايد، ط2، ج1، دار السوعي حلب، 1402هـ، ص 27، وانظر:

- الخطيب البغدادي، مصدر سابق، ص 42 .

10- نفس المرجع، ج1، ص25.

11- ابن حبان، المصدر السابق، ج1، ص 27 .

12- محمد عبد الرحمان بن أبي حاتم الرازي، الجرح والتعديل، ط1، ج1، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية- حيدر أباد الدكن-الهند، 1371هـ، ص5.

13- الخطيب البغدادي، مصدر سابق، ص43 .

14- أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1374هـ، ص2 .

15- نفسه، ج1، ص 06 . وانظر القصة بلفظ مقارب عند:

- زكي الدين عبد العظيم المنذري، مختصر صحيح مسلم، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ط1، قصر الكتاب البليدة، دار ابن عفان للنشر والتوزيع-المملكة العربية السعودية، المكتبة الإسلامية عمان-الأردن، 1411هـ، ص369-370 .

*- فمُ الصلح: هو نهر كبير فوق واسط بينهما وبين جَبُّل، عليه عدة قرى، وفيه كانت دار الحسن بن سهل وزير المأمون، وفيه بنى المأمون ببوران، وقد نسب إليه جماعة من الرواة والمحدثين وغيرهم، وهو الآن خراب . أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، ط1، ج4 دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1410هـ/1990م، ص313 .

16- ابن حبان، مصدر سابق، ج1، ص 28 .

17- الحاكم أبي عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، دط معرفة علوم الحديث، تعليق السيد معظم حسين، دت، ص 06 .

18- أنظر في هذا الباب: - فاروق حمادة، المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل، ط3، دار طيبة للنشر والتوزيع- الرياض، 1418هـ/1998م، ص263، 280، 283، 305 .

19- ابن حبان، مصدر سابق، ج1، ص25 .

20- الخطيب البغدادي، مصدر سابق، ص40 .

21- جلال الدين السيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، شرح ألفاظه وعلق عليه أبو عبد الرحمان صلاح بن محمد بن عويضة، ط1، دار الكبت العلمية، بيروت-لبنان، 1417هـ/1996م، ص159-160 .

22- أبو محمد محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمان عميرة، ط1، ج2، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1402هـ/1982م، ص221 .

23- الخطيب البغدادي، مصدر سابق، ص 42-43.

24- الخطيب البغدادي، مصدر سابق، ص 43 .

25- أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب محمد بن القاسم، ط1، مج1، مطابع الرياض، 1381هـ، ص3 .

26- نفس المرجع، ص09 .

27- علي نايف البقاعي، الاجتهاد في علم الحديث وأثره في الفقه الإسلامي، ط1، دار البشائر الإسلامية بيروت- لبنان، 1419هـ/1998م، ص59 .

*- المرسل هو أن يقول التابعي سواءً أكان كبيرا أو صغيرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا أو فعل كذا . أنظر: - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، نزهة النظر بشرح نخبة الفكر في مصطلح حديث أهل الأثر، علق عليه محمد كمال الدين الأدلهى، شركة الشهاب-الجزائر، ص36-37 .

- جلال الدين السيوطي، ألفية السيوطي في علم الحديث، تصحيح وشرح أحمد محمد شاكر، دار الرجاء - الجزائر، ص24-25 .

**- المعضل هو أن يسقط من رجال السند اثنان على التوالي . أنظر: ابن حجر العسقلاني، مصدر سابق، ص37 . - السيوطي، المصدر السابق، ص25 .

28- ابن حزم، مصدر سابق، ج2، ص 219، 223.

29- الخطيب البغدادي، مصدر سابق، ص 43 .

30- ابن تيمية، مصدر سابق، ج1، ص9 .

31- غولدزيهر، كتاب العقيدة والشريعة، دار الرائد العربي، بيروت -لبنان، ص12 .

32- رحمة الله بن خليل الرحمن الكيرانوي الهندي، مختصر إظهار الحق، تحقيق محمد أحمد عبد القادر ملاوي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، 1416هـ/1995م، ص19 .

33- عزية طه، التثبت في قبول الأخبار وروايتها، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد6، 1406هـ/1986م، ص82

34- نفس المرجع، ص85-86 .

35- رحمة الله الكيرانوي، مرجع سابق، ص34 .

36- رحمة الله الكيرانوي، المرجع السابق، ص34 .

37- محمد صدر الحسن الندوي، المستشرقون والقرآن الكريم، ط1، ضمن البحوث المقدمة للندوة العلمية عن الإسلام والمستشرقين بمجمع دار المصنفين بالهند، عالم المعرفة-جدة، 1405-1985، ص382 .

38- عزية طه، مرجع سابق، ص85 .

39- نفس المرجع، ص89-90 .

40- محمود علي حماية، دراسات في الكتاب المقدس، ط2، مكتبة النافذة، الجيزة، مصر، 2006م، ص29-30 .

41- علي عبد الواحد وافي، الأسفار المقدسة قبل الإسلام، دار النهضة، مصر، 1971م، ص19 .

42- رحمة الله الكيرانوي، مرجع سابق، ص23 .

*- هو ملك مملكة يهوذا ويقال أن ذلك كان سنة 622ق م. أنظر:

- ريتشارد فريدمان، من كتب التوراة، ترجمة عمرو زكريا، ط1، دار البيان، 2003م، ص92 .

43- عزية طه، مرجع سابق، ص93 .

44- رحمة الله الكيرانوي، مرجع سابق، ص25 .

45- عزية طه، مرجع سابق، ص94-95 .

46- عزية طه، المرجع السابق، ص101-103 .

47- - محمد صدر الحسن الندوي، مرجع سابق، ص382 .

48- رحمة الله الكيرانوي، مرجع سابق، ص34 .

49- عزية طه، مرجع سابق، ص107-109 .

50 - رحمة الله الكيرانوي، مرجع سابق، ص30-31 .

51- نخبة من علماء النصارى، قاموس الكتاب المقدس، إشراف رابطة الكنائس في الشرق الوسط، ط6، 1981م، ص762

52- عزية طه، مرجع سابق، ص113 .

53- رحمة الله الكيرانوي، مرجع سابق، ص34-35 .

54- عزية طه، مرجع سابق، ص113 .

55- نفس المرجع، ص111 .

56- رحمة الله الكيرانوي، مرجع سابق، ص20 .

57- محمد صدر الحسن الندوي، مرجع سابق، ص383 .